# القضاء والقدر

## وأصول العقائد الاسلامية . وأمهات المسائل التوحيدية

بقلم

حكيم الاسلام

السيد جمال الدين الافغاني

مصدرا بمقدمة فى تاريخ حياته . ومقصده السياسى والدينى

وأخلاقه . وخلقه . وصفاته . ووفاته

---

تباع بالمكتبة المحمودية

لصاحبها : محمود على صبيح

بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

المكتبة والمطبعة المحمودية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله

(و بعد)فقد رأيت أن أنشر هذه الرسالة « فى القضاء والقدر» اللذين يعدان من أعظم أصول العقائد الاسلامية ، وأمهات المسائل التوحيدية ، وهى لآية هذا العصر ، ووحيد هذا الدهر ، موقظ الشرق من سباته ، السيد جمال الدين الافغانى الحسينى ، تغمده الله تعالى برحمته ، وذلك لما رأيته من اللغط فيهما من أكثر الشبان المتعلمين ، و بقية عامة الناس من الطبقة المتنورين ، حيث ان كلا من الفريقين ذهب فى فهمها مذهب الشطط على غير مايقتضيه الشرع الشريف ، والدين القويم الحنيف

وقد نشرتها مستقلة حتى يكثر نفعها ، ويسهل تناولها ، خدمة لاخوانى المسلمين ، الذين وهبوا قوة فى الفهم والادراك ، عسى أن يهتدوا بها الي حقيقة فهم « القضاء والقدر » فقد بينت حقيقتهما كما يريده الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ،

هذا وانى أسأله تعالى أن ينفع بها النفع العميم ، انه بالاجابة جدير ، وهو على كل شىء قدير

# نبذة من ترجمة حكيم الاسلام
## السيد جمال الدين الأفغاني

هو السيد جمال بن السيد صفتر من بيت عظيم فى بلاد الافغان ومن عشيرة كثيرة العدد ، ولد العقيد فى قرية « اسد آباد » من قرى كستر سنة ١٢٥٤ هـ وانتقل بانتقال ابيه الي مدينة كابل بناء علي أمر دوست محمد خان لامور سياسية

وفى الثامنة من عمره أجلسه أبوه للتعليم وقد عنى بتربيته لما توسم فيه من الذكاء والنجابة ، وتلقى الفقيد علوما جمة برع فى جميعها ، منها العلوم العربية بأجمعها ، والعلوم الشرعية بأكملها ، فضلا عن علوم الحكمة الطبيعية والنظرية ، وعلوم الرياضة من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ، وبالجملة فانه كان نابغة عظيما ، وفيلسوفا حكيما

مذهبه — كان الفقيد رحمه الله حنفى المذهب ببدا نه لم يكن مقلدا كما انه لم يفارق السنة الصحيحة . وكان شديد الميل الي السادة الصوفية

مقصده السياسى

أما مقصده السياسى الذى وجه كل أفكاره وآرائه نحوه ، والذى أخذ على عاتقه السعى اليه ، والذى أصابه فى سبيله ما أصابه من البلاء فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها ؛ حتى تلحق بالامم العزيزة ؛ والدول القوية ؛ وعندها يعود للاسلام مجده ؛ وللدين الحنيف شأنه

أخلاقه

أما أخلاقه فسلامة القلب سجية له ، وله حلم عظيم يسع مايشاء الله ان يسع الي أن يدنو أحد منه ليمس شرفه ، أو دينه ، وعندها ينقلب الحلم الي غضب ، وهو كريم جدا يبذل جميع مابيده ، قوى الاعتماد على الله ، عظيم الامانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسى الذى تقدم ذكره آنفا .

خلقه وصفاته

كان رحمه الله ربعة فى طوله ، وسطا فى بنيته ، قمحيا فى لونه ، عصبيا دمويا فى مزاجه ، عظيم الرأس فى اعتدال ، عريض الجبهة فى تناسب ، واسع العينين ، عظيم الاحداق ، ضخم الوجنات رحب الصدر ، جليلا فى النظر ، هشا بشا عند اللقاء ، وقد كانت مجالسه رحمه الله لا تخلو من الفوائد العلمية ، حيث كان بعيدا من اللغو ، منزها عن اللهو .

وفاته — أما وفاته فكانت فى الأستانة ، والمؤكد ان موته لم يكن طبيعيا ، بل كان بسبب أمور مدبرة بواسطة أبى الهدى ، وقيل : انه طلمت فى لسانه بثرة ، فأرسل اليه السلطان عبد الحميد طبيبه الخاص ليعالجه ، ولكن مع الاسف قص قطعة من لسانه ، وعلى أثر ذلك توفى ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، ولا حرم الامة الاسلامية من أمثاله ، ورضى الله عنه وأرضاه

# القضاء والقدر

مضت سنة الله فى خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانا على الاعمال البدنية فما يكون فى الاعمال من صلاح أوفساد فأنما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على مابينا فى بعض النبذ الماضية ورب عقيدة واحدة تأخذ بأطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات أخرى ثم تظهر على البدن بأعمال تلائم أثرها فى النفس ورب أصل من أصول الخير ؛وقاعدةمن قواعدالكمال اذاعرضت على النفس فى تعليم أوتبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بماليس من قبيلها، أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة ،أوالاعتقادات الباطلة فيعلق بها عندالاعتقاد شيء مماتصادفه. وفى كلا الحالين يتغير وجهها، ويختلف أثرها وربما تتبعهاعقائد فاسدة مبنية على الخطأ فى الفهم ، أوعلى خبث الاستعدادفتنشأعنها أعمال غير صالحةوذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقدولا كيف يصرفه اعتقاده والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل ، وتلك القاعدة . ومن مثل هذا لانحراف وقع التحريف والتبديل فى بعض أصول الاديان غالبا بل هوعلة البدع فى كل دين على الاغلب ، وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع ، وقبائح الاعمال حتى افضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير وهذا مايحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن فى دين من الاديان، أوعقيدة من العقائد الحقة اسناداً الى أعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين اوالعقيدة

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعد من أصول العقائد فى الديانة الاسلامـة الحقة . كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا انها ماتمكنت من نفوس قوم الاوسلبتهم الهمة والقوة، وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات، ونسبوا اليهم أطواراً ثم حصر واعلتها فى الاعتقاد بالقدر فقالوا : ان المسلمين فى فقر وفاقـة وتأخر فى القوى الحربيـة والسياسية عن سائر الامم وقد فشا فيهم فساد الاخـلاق ، فـكثر الـكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهـم الحـاضرة والمستقبلة وغفلو عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها و يشربون وينامون ثم لاينافسون غيرهم فى فضيلة ولـكن متي امكن لاحدهم ان يضر اخاه لايقصر فى الحاق الضرر به فجعلوا بأسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى رضوا بكل عارض، واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون فى كسور بيوتهم ، يسرحون فى مرعاهم ، ثم يعودون الى مأواهم . الامراء فيهم يقطعون ازمنتهم فى اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق فى أدائها اعمارهم ولايؤدون منها شيئاً . يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم إسرافا وتبذيرا . نفقاتهم واسعة ولـكن لا يدخـل فى حسابها شيء يعود علي ملتهم بالمنفعة يتخاذلون و يتنافرون و ينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصيـة فرب تنافر بين امـيرين يضع أمة كاملة كل منهما يخذل صاحبه ويستعدى عليه جاره فيجد الاجنبي فيهما قوة فانية ، وضعفا قاتلا ، فينال من بلادهما مالا يكلفه عـددا

ولاعدة . شملهم الخوف ، وعمهم الجبن والخور يفزعون من الهمس ، ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الي ما يلحقون به الامم فى العزة والشوكة وخالفوا فى ذلك أوامر دينهم مع رؤيتهم بخبرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون واذا أصاب قوما من اخوانهم مصيبة او عدت عليهم عادية لايسعون فى تخفيف مصابهم ولا ينبعثون لمناصرتهم ، ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لاجهرية ولاسرية يكون من مقاصدها احياء الغيرة وتنبيه الحمية ، ومساعدة الضعفاء ، وحفظ الحق من بغى الاقوياء ، وتسلط الغرباء هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات ، وتلك الاطوار وزعموا ان لامنشا له الا اعتقادهم بالقضاء والقدر ، وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية وحكموا بان المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ولن ينالوا عزا ، ولن يعيدوا مجدا ، ولا ياخذون بحق ولا يدفعون تعديا ، ولا ينهضون بتقوية سلطان أو تاييد ملك ولايزال بهم الضعف يفعل فى نفوسهم ، ويركس من طباعهم حتي يؤدي بهم الي الفناء والزوال (والعياذ بالله) يفني بعضهم بعضا بالمنازعات الخاصة وما يسلم من ايدى بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد أولئك الافرنج أنه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور محض فى جميع افعاله وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ومتي رسخ فى نفوس قوم أنه لااختيار لهم فى قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما

جميع ذلك بقوة جابرة ، وقدرة قاسرة فلاريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك وتمحى من خواطرهم داعية السعي والكسب وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم . عكذا ظنت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول فى الشرق ولست أخشي ان أقول كذب الظان ، وأخطأ الواهم ، وأبطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سنى وشيعى وزيدى واسماعيلى ووهابى وخارجى يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزءا اختياريا فى أعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختيارى ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية ، والنواهى الربانية الداعية الي كل خير الهادية الي كل فلاح وأن هذا النوع من الاختيار هو مورد التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى أن الانسان مضطر فى جميع أفعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين أن يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم أثر . وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد